بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة طرابلس

طرابلس – لبنان

الثقافة الإسلامية

(١٤٣٦-١٤٣٧)هـ

(٢٠١٥-٢٠١٦)م

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد لله تعالى خالق الأكوان، الرحمن الذي علم القرآن وخلق الإنسان وعلمه البيان ، والصلاة والسلام علي سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

وبعد..

فإن مادة الثقافة الإسلامية مادة جديدة في بناء العلوم الشرعية ، ومناهج الدراسة فيها . بل إن مصطلح ثقافة هو مصطلح جديد يغلب عليه طابع الترجمة .... لهذا السبب فإن موضوعات هذه المادة يعتبر أمرًا لم يستقر عليه اتفاق أو إجماع في الكليات الشرعية والمعاهد والجامعات ، وحين عهدت جامعة طرابلس إليَّ تدريس هذه المادة، إضافة إلى تدريس أصول الدين وأصول الفقه والأديان المقارنة، فكأنما كلفت بأمر مستحيل في العادة ، وليس ذلك في طاقتي ولا من عادتي .

وقد تريثت حتى تنضج هذه القضايا (وكانت تسمى سابقا قضايا معاصرة) في ذهني من جهة تدريسها أكاديميا وربما لو كلفت بنقل جبل من مكانه لكان أهون علي منها.

ورحت أنظر في هذه المادة في مقررات الجامعات الإسلامية فرأيت مباحث مختلفة نوعا أو كيفا وكمّا وأصولا وفروعا ومذهبا ومدرسا ومنهجا، وربما تداخلت فيه مع مواد أخرى كالعقيدة وأصول الفقه وعلوم القرآن الكريم ثم راجعت بعض الكتب المؤلفة فيها فوجدت فيها أيضا هذا الخلاف الذي دفعني إلى القول: إنه كثيرا من الكتاب لم يفهم حقيقة معنى الثقافة .

وغلب على تلك الكتب والمقررات طابع الجمع المنظم في أمور والعشوائي في أمور والخارج عن الموضوع أو الداخل فيه.

وتعقد عليَّ الأمر أكثر وضاق بي الوقت في تقديم المادة للطلاب في الفصل الثاني للدراسة .

فارتأيت – وأسأل لله السداد في الرأي – :

١. أن أعيد صياغة هذه المادة صياغة مختلفة عن غيرها إلى حدٍّ ما،ولكنها تحتفظ بطابع الثقافة والقضايا المعاصرة وهي إلى حد كبير قضايا خلافية تشكل انقساما في صف الأمة الإسلامية
٢. اخترت موضوعات مختلفة في مجالاتها الثقافية المختلفة، ولعل هذا ما كان ينقص المادة في مقررات بعض الجامعات الأخرى.

أ- فقسم يتناول ظواهر خطيرة في الأمة كالغلو وأسبابه ومظاهره وعلاجه.
ب-وقسم يتعرض لآداب المتعلم وطرق استفادته من الوقت وأنواع المعرفة من حيث العموم.
ج- وقسم يتناول شبهات في مصدري الكتاب والسنة تثار بين الفينة والأخرى.
د- وقسم يتناول قضية الفقه بين المذهبية واللامذهبية.
ه- وقسم يتناول علم التصوف بين المهاجمين له والمدافعين عنه.
و- وقسم يتناول مدرسة التنوير العربية الإسلامية وأهم طروحاتها والتي أثارت جدلا لم يتوقف حتى الساعة.
ز- وقسم يتناول أزمة العقل الإسلامي أو الفكر الإسلامي منهجا ونتائج.
ح- وقسم يتناول يتناول الأمة أمام أزمة الفكر السياسي الإسلامي الذي انعكس على وحدة الصف، وجعلها فرقًا وطوائف ومجموعات كبيرة وصغيرة.

أهداف هذه المادة:

أولا: توسيع موارد الثقافة في ذهن الطلاب وتوثيقها وتعميقها.

ثانيا: تناول تلك القضايا الثقافية كإشكاليات في الفكر الإسلامي المعاصر تعددت فيها صياغة تلك الإشكاليات وتشخيصها في الخارج والإجابات عنها بشكل علمي أو غير علمي،ثم نقد ذلك بتشخيصها

ثالثا: تمكين الطلاب من أمرين هما أهم ما في المادة

أ- القدرة على المحاورة والجدل
ب-المنهجية الأصولية

رابعا: حسن إدارة الأفكار والأدلة والحيثيات

خامسا: تلمُّس الحلول العلمية لتلك القضايا للتوصل إلى مبادئ الثقافة الجامعة:

أولا : على طريقة المشاركة الطلابية في إعداد المباحث وعرضها من قبلهم.

ثانيا: على طريقة الحوار حيث ينقسم مُعدَّو البحوث إلى من يأخذ طرفا ومن يأخذ الطرف المقابل.

ثالثا: على مشاركة بقية الطلاب من السنوات المختلفة في محاورة هذين الفريقين وتوجيه أستاذ المادة للحوار والأسئلة والأجوبة،ثم تقرير النتائج العامة.

رابعا: على تقديم أستاذ المادة للمشكلة أو القضية المعاصرة متناولا ظهور الإشكالية والمدارس التي تناولتها وتاريخية تلك المشكلة في المراحل الأخيرة للأمة الإسلامية

خامسا: على تحرير قواعد الحوار والمناظرة أثناء الحصة المقررة بطريقة غير مقحمة ولا على سبيل الدراسة المتخصصة الجافة. وأما المباحث أو المصادر التي استقيت منها المادة الحوارية للثقافة فهي فقط مادة معرفية منتقاه بغض النظر عن الموافقة أو المخالفة لها أو لكل مضمونها أو بعضه ومعيار الانتقاء هو تمييزها فقط عن غيرها إلى حد ما. وهي في مجملها راجعة إلى جهود ثلة من العلماء المعاصرين :

وقد ارتأيت أن اضيف اليها ضمن قسم مستقل مباحثَ الطلاب أنفسهم كي يستفيد واحدهم من الآخر، ولم أقم بتعديل كثير من أفكارهم للأمانة العلمية سوى بعض التعديلات النحوية أو في العبارة لسد بعضَ النقص مع تعليق بسيط قد أذكره في الهامش

والله أسأل التوفيق والسداد لي ولجميع الطلاب وأن يكون عملنا هذا خالصًا لوجهه على أن يعينني في المستقبل أن أعيد صياغة هذه المادة بصورة أفضَل وأمثَل من خلال سير تجربة التدريس لها ومعرفة العقبات أو الأخطاء ...

د.محمد المعتصم بالله البغدادي

طرابلس في: ٢٦ رجب ١٤٣٧ هـ

الـموافـــق: ٠٣ أيـــار ٢٠١٦ مـ

المحتويات

أولاً : مقدمات من كتاب " المدخل إلى الثقافة الإسلامية " (جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الين - من ص ١ حتى ص ٥ .

وكتاب " أساسيات الثقافة الإسلامية " للصادق عبد الرحمن الغرياني من ص ٤٧ حتى ص٩٠.

ثانياً : شبهات حول القرآن من موسوعة بيان الإسلام المجلد السابع من ص ٩ حتى ص ٢٥

ومن ص ٢٩ حتى ص ٣٤

ومن ص ٣٨ حتى ص ٥٢

ومن ص ٨٨ حتى ص ٩٦

وكتاب " مناهل العرفان في علوم القرآن " للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني من ص ٥٤ حتى ص ٧٥ ومن ص ١٠٥ حتى ص ١٢٦ .

ثالثاً : شبهات حول السنة من موسوعة بيان الإسلام المجلد الأول

من ص ٣٣٢ حتى ص ٣٤١ .

رابعاً : الاجتهاد : المذهبية واللامذهبية .

كتاب " اللامذهبية في الفقه " للدكتور إدريس خليفة .

من ص ١٧١ حتى ص ١٩٥.

خامساً : التصوف في كتاب "أساسيات الثقافة الإسلامية " للصادق عبد الرحمن الغرياني من ص ٤٤٠ حتى ص ٤٦٥ وكتاب " الكشف عن حقيقة الصوفية " لمحمود عبد الرؤوف القاسم من ص ٥ حتى ص ١٥.

وكتاب " ابن تيمية و التصوف " للدكتور مصطفى حلمي من ص ٥ حتى ص ١٦.

أولاً : مقدمات من كتاب

" المدخل إلى الثقافة الإسلامية "

جامعة أم القرى (كلية الدعوة

وأصول الدين من ص ١ حتى ص ٥

.

وكتاب " أساسيات الثقافة الإسلامية "

للصادق عبد الرحمن الغرياني من ص

٤٧ حتى ص٩٠

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مقـرر الثقـافـة الإسلامية
(١٠١)
(العقيدة، العبادة، الأخـلاق)

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول: تعريف الثقافة الإسلامية

وفيه ثمان مسائل

المسألة الأولى: تعريف الثقافة في اللغة.

لا يستطيع الباحث في مفهوم الثقافة الإسلامية أن يصل إلى معناها المحدد أو تصورها الدقيق إلا بعد أن يدرس مفهوم الثقافة في اللغة والاصطلاح العام ثم يرى بعد ذلك مدى انطباق هذا المفهوم على الإسلام وعلومه، أو الأمة الإسلامية وحياتها، وعليه فالثقافة في اللغة لها معاني متعددة منها: -

١) الحذق.
٢) الفطنة والذكاء.
٣) سرعة التعلم والفهم والضبط.
٤) الظفر بالشيء والتغلب عليه، ومنه قوله تعالى ((**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**}. البقرة آية: ١٩١)، وقوله تعالى ((**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**}. الأنفال(٥٧). والمعنى في الآيتين يدل على الظفر بالعدو.
٥) تسوية المعوج من الأشياء كالرماح والسيوف.
٦) ثبوت المعرفة بما يحتاج إليه.
   - يقال: غلام ثقف، يعني ذو فطنه وذكاء.
   - يقال: ثقفت الشيء، أي حذقته وظفرت به.

والمتأمل في معاني الثقافة في اللغة يجد أنها تستعمل في الأمور المعنوية والعقلية والأمور الحسية والمادية. غير أن استعمالها في الأمور المعنوية أكثر من استعمالها في الأمور الحسية المادية.

مثال الاستعمال المعنوي كقولك: ثقفت الشيء يعني فهمته. وثقف الصبي يعني ((أدبه وعلمه وهذب سلوكه)).

ومثال الاستعمال المادي الحسي كقولك: - تثقيف السيوف والرماح، يعني ((تسويتها وتقويم اعوجاجها)).

المسألة الثانية: تعريف الثقافة في الاصطلاح العام.

كلمة الثقافة بمعناها الحالي لم تكن معروفة عند العلماء المتقدمين، غير أن مضمونها كان واضحاً لهم.

وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة الاستعمال في عصرهم، ولهذا لا تجدهم ينعتون العلماء أو الباحثين بها، كما أنهم لم يتناولوها بدراسة مستقلة أو مؤلفات خاصة.

وحين دخلت الثقافة الإسلامية كعلم في حياة المسلمين المعاصرة انتشر التعبير بهذه الكلمة، فأصبحنا نصف فلاناً بأنه مثقف، أو نصف بالمثقفين العرب أو المثقفين المسلمين، وأصبح لدينا وزارة الثقافة والإعلام التي تتميز عن وزارة التربية والتعليم وكتب ثقافيه ومراكز ثقافية و أقسام للثقافة، وعلى هذا جاء تعريف الثقافة بالمعنى الاصطلاحي تعريفاً حديثاً، وقد تنوعت تعاريف الباحثين لهذا العلم، فمن تلك التعاريف:

١) تعريف المجمع اللغوي: عرف الثقافة بأنها: جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها.

٢) تعريف بعض التربويين: قالوا بأنها: مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات والتقاليد والعادات والمهارات وطرق التفكير وأساليب الحياة والنظام الأسري وتراث الماضي ووسائل الاتصال والانتقال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد.

٣) تعريف بعض المفكرين: قالوا بأنها: التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعلمية الذي تمتاز به أمة وينسب إليها ويتلقاه الفرد من ميلاده وحتى وفاته من ثمرات العلم والفكر الأخلاق وغيرها.

ملحوظات على هذه التعارف:

المتأمل في هذه التعاريف التي ذكرناه، وفي غيرها مما لم نذكره يلاحظ ما يلي: -

١) أنها تعاريف تتقارب في الفكرة وتتفاوت في الألفاظ، فبعضها لا يتعارض مع بعض بل يكمل بعضها بعضاً.

٢) أنها جزئية وليست كلية، بمعنى أن بعضها يركز على العلم والتعليم والتربية، وبعضها يركز على العادات والتقاليد، وبعضها يركز على العقائد والمذاهب، وبعضها يركز على السلوك الاجتماعي، وبعضها يركز على الاخلاق والفنون والاداب، وبعضها يجمع أكثر من عنصر.

والحق أن الثقافة ليست شيئاً جزئياً بل هي أمر كلي، فليست الثقافة هي العلم بمفرده، ولا تربية بذاتها، ولا العادات والتقاليد وحدها، ولا العقائد والمذاهب بذاتها، وإنما كل واحد من هذة العناصر يشكل واحداً من عناصر الثقافة.

٣) بعض هذه التعاريف يغلب عليه الطابع الإنشائي غير المنضبط.

٤) معظم هذه التعاريف يركز على الأمور المعنوية وأن الثقافة ذاتية فردية يختلف فيها الفرد عن الآخر والشعب عن الشعب الآخر و الأمة عن الأمة الأخرى. وهذا صحيح.

المسألة الثالثة: الفرق بين الثقافه والحضارة.

هناك عدة اتجاهات لتحديد الصلة بين مفهومي الثقافة والحضارة يمكن حصرها في أربعة اتجاهات، كما يلي: -

الاتجاه الأول: - اتجاه يسوى بين الثقافة والحضارة في المفهوم، ويرادف بينهما من جانب، وبين العلم والمدنية من جانب آخر.

الاتجاه الثاني: - اتجاه يرى أن الفرق بين الثقافة والحضارة هو فرق في الدرجة لا في النوع.

الاتجاه الثالث: - اتجاه يحصر الثقافة في الجانب المعنوي الذي تتميز به الأمة، بمعنى أن الثقافة تختص بالدراسات الأدبية والنظرية وما يتعلق بالأمور الدينية والمعنوية، والحضارة تختص بالمظاهر المادية كوسائل الاتصال والمخترعات والابتكارات الصناعية والتجارب الكونية.

الاتجاه الرابع: - اتجاه يرى أن الحضارة تشمل الثقافة والمدنية، فالثقافة تمثل الجانب المعنوي، والمدنية تمثل الجانب الحسي (المادي). وعليه فالحضارة هنا أعم من الثقافة والمدنية.

الترجيح:

الاتجاه الأخير وإن كان صحيحاً إلا أن الذي قبله الذي يفرق بين الحضارة والثقافة هو الأدق والأصح، لأن من سوى بينهما قد اختلط عليه الأمر، وفي الحقيقة هما وجهان العملة واحدة، الثقافة هي المظهر المعنوي للحضارة، والحضارة هي المظهر الحسي للثقافة. ويؤيد هذا الرأي ما يلي: - (أسباب الترجيح).

١) أن اللفظتين غير مترادفين في اللغة العربية.

٢) أنه يغلب في اللغة العربية استعمال كلمة الثقافة في الأمور المعنوية، والحضارة في الأمور المادية، كما سبق.

٣) أن التطور التاريخي لمصطلح الثقافة يدل على أن استعمالها في الأمور المعنوية أكثر من استعمالها في الأمور الحسية.

٤) أن الثقافة ذاتية سواء بالنسبة للفرد أو الأمة، بينما الحضارة عامة، فعالم اليوم تتحكم فيه حضارة واحدة، ولا يقال تتحكم فيه ثقافة واحدة.

المسألة الرابعة: الفرق بين الثقافه والعلم

العلم: - معرفة تخصصية يكون بها الباحث متخصصاً في دراسة محددة

أما الثقافة: - فهي معرفة إجمالية يكون بها المثقف عالما بدراسات متنوعة أو عامة.

وعلى هذا يقولون: (تعلّم كل شيء عن شيء ما لتكون عالماً، وتعلّم شيئاً ما عن كل شيء لتكون مثقفاً).

المسألة الخامسة: تعريف الثقافة الإسلامية.

تقدم أن علماء العربية لم يستعملوا الثقافه بالمعنى الواسع، و لم يؤسسوا علماً يسمى الثقافة، وكذلك الحال عند علماء المسلمين لم يستعملوا هذا الاصطلاح، و لم يقيموا علماً مميزاً يسمى الثقافة الإسلامية، وإنما جاء التعبير بالثقافة وليد الدراسات المعاصرة. ولذا اختلفت التعاريف لهذا العلم بسبب اختلاف التوجهات. و نذكر هنا ثلاث اتجاهات في التعريف: -

الاتجاه الأول: - اتجاه يجعل حياة المسلمين هي الأساس الذي يدور عليه التعريف. وهو اتجاه التربويين.

الاتجاه الثاني: - اتجاه يجعل العلوم الإسلامية هي الأساس الذي يدور عليه التعريف، وبهذا تكون الثقافة الإسلامية مرادفة للدراسات أو العلوم الإسلامية أو التربية الإسلامية.

الاتجاه الثالث: - اتجاه يرى أن الثقافة الإسلامية هي علم جديد له موضوعاته الخاصة التي تميزه عن غيره من العلوم الإسلامية -كعلم العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه- وهو علم أو جدته الأحداث والدراسات المعاصرة.

وهنا نذكر تعريفاً واحداً فقط لكل اتجاه:

١) التعريف العام للثقافة الإسلامية: الذي يركز على حياة المسلمين.

قالوا: هو علم يبحث في مقومات الأمة الإسلامية العامة المتعلقة بماضيها وحاضرها، والتي تتكون من الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ والحضارة وأنماط السلوك وأساليب الحياة المشتركة والمتنوعة بصورة واعية وهادفة.

وهذا التعريف يناسب كليات الدراسات الإسلامية بجامعات البلدان العربية والأجنبية.

ويركز هذا الجانب على دراسة حياة الأمة الإسلامية من جميع الجوانب، و العلامة التي تميزت بها عن سائر الأمم، والدور الذي اسهمت به في تاريخ الإنسانية.

٢) التعريف الخاص للثقافة الإسلامية ((الذي يركز على العلوم الإسلامية)): -

قالوا: هو علم يبحث في مقومات الدين الإسلامي وآثار تلك المقومات في الماضي والحاضر والمصادر التي أخذت منها هذه المقومات بصوره إجمالية مركزة.

وهذا التعريف يناسب الكليات والمعاهد العلمية والنظرية في جامعات البلدان العربية والإسلامية.

٣) التعريف المميز للثقافة الإسلامية ((الذي يستند على ان الثقافه الإسلامية علم جديد له موضوعاته الخاصه به)): -

قالوا: هو علم يبحث في المتغيرات والمستجدات والشبهات الماضية والحاضرة التي تتعلق بمقومات الأمة الإسلامية عامة ومقومات الدين الإسلامي خاصة بصورة مقنعة موجهة.

وهذا التعريف يناسب كليات الشريعه وأصول الدين والدراسات الإسلامية المتخصصة في جامعات الدول العربية والإسلامية.

ويقوم هذا العلم على دراسة التحديات المعاصرة التي تواجه المسلمين، وتقديم البحوث المعاصرة في التربية أو الصحة أو المجتمع أو السياسة أو الاقتصاد، كما يقوم بدراسة الشبهات التي يثيرها أرباب الغزو الفكري في الداخل والخارج فيما يتعلق بقضايا المرأة والأسرة وحقوق الإنسان، كما يقوم بدراسة التيارات الفكرية الحديثة مثل الاستشراق أو القاديانية أو العلمانية أو الوجودية..... الخ

المسألة السادسة: أهداف الثقافة الإسلامية.

إن مقررات ومناهج الثقافة الإسلامية تعد من الأساسيات اللازمة لتكوين الشخصية المسلمة في هذا العصر بما تتضمنه من أهداف سامية تنطلق من رسالة الإسلام العظيمة وتتمثل فيما يلي: -

أولا: - إيضاح مبادئ الإسلام ومفاهيمه وقيمه وأخلاقه وأحكامه ونظمه بأسلوب علمي شمول،ي يؤدي إلى تحصين الاعتقاد الصحيح في مواجهة التيارات الفكرية الغازية، وبث روح الاعتزاز بالإسلام وأمجاد أمته، والثقة بسمو رسالته وتفرد حضارته.

ثانيا: - الإسهام في تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر وبخاصة في مجالات العلوم المختلفة ونظم الحياة، والتوجيه العلمي لتحقيق مهمة القيام بوصل العلوم التجريبية الحديثة والإنسانية بجهود الإسلاف في تلك الميادين.

ثالثاً: - إعطاء صورة وافية عما صنعته رسالة الإسلام العامة الشاملة في الحياة الإنسانية؛ من تحريرها للبشر من الوثنيات والخرافات وإنقاذهم من التخلف الفكري والتفكك الاجتماعي والجدب الحضاري، ومن نصرتها على الصعيد العالمي لكل القيم الفاضلة من الحق والخير والعدل والسلام، ومن دعوتها لالتزام المنهج العلمي في اكتساب العلوم المعارف.

رابعاً: - كشف الشبهات التي يثيرها الأعداء حول العقيدة أو الشريعة بالحجة والبرهان مما يسهم في تحصين المتعلمين من تلك الشبهات.

تلك هي أهم أهداف وضرورات الثقافة الإسلامية، وفي عرضها ما يغني عن الحديث عن مدى أهمية مادة الثقافة الإسلامية للطالب الجامعي في أي تخصص كان.

أساسيات
الثقافة الإسلامية

تأليف
الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

الغُلو في فهم الدين
ـ سببه وعلاجه ـ

الغلو معناه مجاوزة الحد المشروع في أمر من الأمور ، بأن يُزاد فيه أو يَنقص عن الحالة التي شُرع عليها ، ولا يدخل في الغلو طلب الكمال في العبادة إذا لم يجاوز الحد ، فإنه من الأمور المحمودة .

ويكون الغلو تارة بمجاوزة الحد في الإفراط والإشطاط ، وتارة بمجاوزة الحدّ في الترك والتفريط .

والغلو في الدين أمر مذموم وصاحبه على باطل من حيث يرى أنه يحسن صنعا ، وقد جعل الله تعالى هذه الأمة أمة وسطا وأمر بالاعتدال في كل شيء حتى في العبادة وقال ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»[1] ، وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[2] .

سبب الغلو الكتب المشوشة :

ليس كل من انتحل الطب طبيبا ، ولا من ادعى العلم عالما ، ولا كل من كتب كتابا إسلاميا يؤخذ عنه ، فإن المطابع تخرج كل يوم للناس أعدادا من الكتب الإسلامية ، فيها الغث والسمين ، من الكتب ما يحمل أفكارا غريبة لُيدر ربحا ويقبض صاحبه ثمنا ، وفي سبيل ذلك يأتي مؤلفه بالطامات والغرائب غير المألوفة للناس ، فيروج لغرابته ، ومن الكتب ما يحمل علما معوجا يروج للبدع والخرافات باسم التدين والمقامات والبركة .

---

1) مسلم حديث رقم 2670 ، والتنطع: الغلو والتكلف والتعمق فيما لاينبغي .
2) ابن ماجة حديث رقم 3029 .

ومن الكاتبين من يسلك في ترويج باطله هذا مسلكا غريبا ، يُغلفه بالقرآن ، ويقول: لانريد سواه ، فيأتي بالآية ويقطعها عن سابقها ولاحقها ويفسرها على هواه ، كما فعلت الخوارج والرافضة من قبل ، رافضين كل مصدر للتشريع غير القرآن ، مكذبين بكل الموروث العظيم من تراث المسلمين ، بحجة أن في القرآن تبيانا لكل شيء ، وأن الله تعالى لم يفرط في كتابه من شيء ، والقرآن من هذه الدعوى براء، فالقرآن هو القائل:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]، وقد تقدم في مبحث القرآن بيان خطأ هذا الفهم .

هذا نوع من الغلو ، يتمثل في التحرر من أوامر الدين ، والضرب بكثير من تكاليفه المُسلّم بها عُرض الحائط ، وهناك نوع من الغلو على الطرف المقابل ، يتمثل في فهم التكاليف والأحكام الشرعية فهما غريبا ، يعطي للسنن والمندوبات منزلة الواجبات ، وللمكروهات مرتبة المُحرمات ، ويُدخِل أنواعا من المحرمات في باب المكفرات ، فيسرف في تضليل الناس وتكفيرهم ويستخف بسلف الأمة ، ويتعالى على الأئمة الذين أسسوا المدارس الفقهية ويعد اتباع هذه المدارس والانتساب إليها سُبة ، كل ذلك تحت اسم العمل بالكتاب والسنة .

وتؤلف الكتب في هذا وذاك ، وتقع مثل هذه الكتب في يد الشباب في بداية حياتهم العلمية ، والعامة من الناس ، الذين لم يسعدهم الحال بتعليم شرعي متين ولم ينالوا حظهم منه على وجه صحيح فيغترون بما فيها من آراء أصحابها ، وتستقر في عقولهم لعدم وجود البديل الصالح ، ويعتنقونها بحماس شديد ، وعصبية عمياء ، ويرون أن الموت من أجلها شهادة في سبيل الله ، مع أنه قد يكون من تلك الأفكار المحسوبة على الدين أن الواحد منهم يكفر المجتمع بأسره فلايصلي مع الناس جمعة ولاجماعة ، ولايأكل ذبائحهم ، ويرى أنه لايجوز له المقام معهم ، لما

---

1) الحشر آية 7 .

هم عليه من المنكر والمعاصي ، أو أنه لايصلي على الإطلاق ، ولايحج ولايصوم ، إن كان ممن يدعي التحرر ونشأ في الاستغراب ، لأنه يرى أن تلك طقوس ليست في الدين ذات بال .

علاج ولكن لا يفيد :

منع انتشار هذه الأفكار لايعالَج بالرقابة على الكتب والحيلولة بينها وبين الناس ، فإن ذلك لايفيد ، بل قد يزيد الرغبة فيها والحرص على شرائها بأغلى الأثمان ، فتروج في السوق ويثري أصحابها ويكون لهم شأن بين الناس ، ويشجعهم ذلك على المزيد من نشر آثامهم ، فإن كل ممنوع مرغوب ، وما أمر الكتاب المسمى (الآيات الشيطانية) عنا ببعيد ، كتاب لايُعدّ شيئا ذا بال في موضوعه الرواية ، تصدر قائمة أكثر الكتب بيعا في العالم ، بفضل المنع والحظر والإعلام وحديث الناس ومظاهرات الاستنكار ...الخ ، وأثرى مؤلفه من ورائه فصار (مليونيرا) بين عشية وضحاها ، ولو سكت المسلمون عن الكتاب ، وتركوه يُعرض دون ضجيج ، لحرموه الفرصة الذهبية ، التي ماكان مؤلفه يحلم بها ، ولبقي الكتاب كما مهملا على أرفف المكتبات لايأبه له أحد ، وفي ذلك ما يكفي للقضاء عليه دون أن يكلف المسلمون أنفسهم شيئا .

ولايعالج منع انتشار هذه الأفكار أيضا بالقوة والقهر ، فإن الإنسان يستطيع أن يأخذ محفظة نقود أحد الناس بالقوة ، ولكن الحيلولة بينه وبين أفكاره مما لاسبيل إليه ، بل ربما أدى ذلك إلى مزيد التمسك بها وإن كانت خاطئة ، والأفكار لاتموت حتى بعد موت أصحابها .

العلاج الناجع علاج السبب :

والعلاج الناجع لأي مرض يكون بعلاج أسبابه ، وإعطاء الناس المصل الواقي من عَدْوَاه ، وتحصينهم من آفاته .

والوقاية دائما خير من العلاج ، فإذا أراد مجتمع ما ، منع التيارات المتطرفة والأفكار الخاطئة من الانتشار ، فعليه أن يتيح الفرصة الكافية للمفاهيم الصحيحة للثقافة الدينية ، بتقديم البديل السوي المقنع ، الذي يملأ الفراغ الموجود في عقول الشباب ، وذلك عن طريق المناهج العلمية الرصينة ، وتوسيع قاعدة التعليم الديني الصحيح المتدرج ، لتأخذ الدروس الأكاديمية المقننة المسؤولة في الثقافة الإسلامية والعلوم الدينية مكانها ، في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد ، فإن الناس في حاجتهم إلى معرفة دينهم ومعتقداتهم كحاجتهم إلى الماء والهواء ، إذا وجدوا هواء نقيا وماء صافيا ، أنِفوا ورود المستنقعات ، وهربوا بأنفسهم من الوخم والتلوث ، وإذا لم يجدوا الشراب الزلال كرعوا في المستنقعات ، وانتقلت العدوى منهم إلى الأصحاء ، فتنعكس الآثار السيئة من ذلك على المجتمع بأسره .

ما يساعد على تكوين ثقافة دينية سوية :

وفي إطار تقديم البديل الصحيح يجب الاعتناء بالشمول والعمق في المواد المقررة ، دون الاكتفاء بإعطاء المعلومات الضحلة ، ويُعتنى بصفة خاصة بالجانب التربوي لتلقي العلم الشرعي ، وتوعية القارئ ، ليعرف كيف يكون ثقافته الدينية على نحو سوي ، دون شطط أو غلو ، آخذا بالآداب الشرعية التي وضعها علماء المسلمين للعالم والمتعلم .

وفيما يلي التنبيه على أهم هذه الأمور التي تساعد القارئ على تكوين الثقافة المطلوبة التي لاغلو فيها ولاتفريط :

1 ـ التمييز بين الكتب الثقافية وكتب الحلال والحرام :

يجب التمييز بين الكتب الإسلامية التي وضعت أساسا لبيان الحلال والحرام ، وهي ماتعرف بكتب الفقه والأحكام ،وبين الكتب العامة ، التي تعتني بالتوجيه والدعوة والتثقيف ، وإيقاف الناس على محاسن الإسلام ، وحضهم على التمسك

بتلك المحاسن ، ليعيشها المسلم سلوكا حيا ، وأسلوب حياة .

والمسلم محتاج إلى هذين النوعين من الكتب لايستغني عنهما ، لكن ينبغي أن يحسن التفريق بينهما ، فلايأخذ الفتوى وأحكام الحلال والحرام من الكتب التثقيفية الموضوعة للتوجيه العام ، لأن هذه الكتب مصمّمة أساسا لتقديم فكرة ما ، يقصد أن يكون لها تأثير إيجابي على سلوك القارئ ، وقد يستشهد المؤلف على صحة فكرته هذه وإقناع الناس بها بعدد من الجزئيات والمواقف في السيرة النبوية ، والأحاديث ، وأعمال الصحابة ، وأقوال السلف ، هذه الجزئيات والشواهد قد تقيم في مجموعها حجة على صحة تلك الفكرة قطعا ، ولكن ليس بالضرورة أن تكون كل جزئية منها على حدة صالحة للاستدلال ، طبقا لعلم الجرح والتعديل ، وقانون قبول العلم واستنباط الأحكام.

والمؤلف ماقصد من هذه الشواهد التي ساقها أن تكون كل جزئية منها دليلا بنفسها على فكرته ،وإنما أتى بعدد منها لتتضافر في مجموعها على إثبات مايريده ، فلو أخذ القارئ فتوى شرعية من مثل هذه الجزئيات ، سواء كانت أحاديث أو آثارا ، لكان مخطئا ، لأنه استعمل النص في غير ما أراده مؤلفه ، وهذا ينطبق أيضا على الأشرطة الدعوية ، المقصود منها في الغالب التذكير والوعظ والتثقيف ، وليس بيان أحكام الحلال والحرام ، فليست هي الأخرى مصدرا تؤخذ منه الفتوى .

2 ـ التدرج في القراءة :

وإذا كان القارئ لايستغني عن هذين النوعين من الكتب الإسلامية ، فإنه ينبغي أن يتدرج في قراءتها حسب أولوياتها ، حسب قدراته فيتعلم أولا ماهو من فرض العين ، الذي لايعذر المسلم بجهله به عند الله يوم القيامة ، وذلك الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ومافيه ، ومعرفة ما يعبد الله تعالى به من أحكام

الطهارة بأنواعها ، وكذلك الصلاة والصيام والزكاة والحج ، ومايحتاج إليه من المعاملات ، فلا يُقدم على شيء منها حتى يعلم فيه حكم الله تعالى[1] ، ثم يأخذ بعد ذلك في قراءة كتب السيرة والتفسير والحديث لتعبّى مشاعره السلوكية ، وتجعله يفهم أن ماتعلمه من العقيدة وأركان الإسلام يحتم عليه أن يكون الإسلام في نفسه عملا وسلوكا ومنهج حياة ، في ليله ونهاره ، في أخذه وعطائه ، في بيته مع أهله وأولاده ، في تعامله مع الناس ، وفي وظيفته ، لأن ذلك كله داخل في العمل الصالح الموصل إلى رضوان الله وسعادة الدارين فقد أصبح الإيمان ضعيفا في النفوس ، لايحركها إلى العمل ، ولايحملها على العمل الصالح بهذا المفهوم الشامل ، ولا على الإنصاف والوقوف عند الحدود والحقوق ، وتحول نوره من شعلة تنير قلب المسلم ، وتجعله يهب لكل مكرمة وفضيلة ، وتحجزه عن كل نقيصة ورذيلة ، تحول إلى مجرد كلمات يردّدها على لسانه ، ويناقضها بسلوكه وتصرفاته ، وكأن الإيمان مجرد وظائف تلقائية شكلية ، تصدر عن الإنسان كما تؤدي الآلة وظيفتها ، دون اتصال بالله تعالى ، ومراقبة له وخوف منه .

ولا يشغل الطالب نفسه في بداية طلبه بعلم الخلاف الفقهي أو بعلم الكلام ، مثل هل الإنسان مسير أم مخير ، وهل الله عز وجلّ يريد الشر أو لا يريده .

زهد الناس في علم الفقه :

زهد الناس اليوم في علم الفقه ، خصوصا في تعلم فرائض الإسلام المتعلقة بأركانه ، وهي معرفة مايصحح الإيمان ، ومعرفة الطهارة بأنواعها وأحكام الصلاة وباقي أركان الإسلام ـ زهدوا فيها زهدا عن جهل في كثير من الأحيان ، حتى إنك لتجد كثيرا من ذوي المؤهلات العالية في التخصصات المختلفة في الجامعات والمؤسسات العلمية وفي غيرها من لايُحسن الوضوء ، ولاغسل الجنابة ولا

1) انظر الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به ص 21 .

Page 20 of 45